العصافير فى زيِّها القاهرى

شعر: د. أحمد تيمور



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

العصافير فى زيِّها القاهرى

شعر

د. أحمد تيمور



الهيئة المصرية العامة للكتاب

الغلاف
والانجاز الفنى
محمود الهندى

العصافير فى زيِّها القاهرى

٧

وحين أسير
شريد الخواطرِ
فى طرق القاهره
تسير جوارى العصافيرُ
مثل صغار التلاميذِ
فى زيِّها القاهرى
تُدارى توتُّرها الداخلىَّ
بشىءٍ من المرح الظاهرِ

٨

تدور حوالىَّ

ترعى شرودى

وتقفز من فوق ظلِّى

وتلفقه وظلال الورودِ

بإبرة رفًا الشذى الماهرِ

وترتق فكرىَ

خاطرةً .. خاطره

وتطرحنى

شملةً من حريرْ

على كتفىْ شفق القاهره

فيسبقنى القمر القاهرىُّ

إلى ليل أحيائها الساهرِ

وتتبعنى

زهرة الفولِ

فى لون سيَّارة الأجرة القاهريَّه

نسير مظاهرةً شاعريَّه

١٠

نسير ونحلمُ
لو تطلع الصحراء علينا
بقمحٍ وفيرْ
فنعجن فى قصعةٍ
قطرها ذاهبٌ آيبٌ
من مدينة نصرٍ
لباب الوزيرْ

ونخبز فى عين شمس بشنس
ونغمس لقمتنا الوطنيَّةَ
فى ملحنا الوطنىِّ
ونلثم كفَّ الرضا
فى حبورْ

١٢

ويسترسل الحلمُ
لو تستدير إلينا المقاديرُ
ديْناً عليها
توفِّيه بعد انتظارٍ مريرْ
فتمنحنا فرصةً للسباحةِ
بين هنا وهناكَ
وتملأ فارغ قيعانِ
ما بين شطَّيْ هنا وهناكَ
بماء البحورْ

وتمنحنا فرصة الطيرانِ

يماماً

حماماً

نحلّق نحو الأعالى

بريشٍ

كريش النسور جسورْ

١٤

وننزل فوقَ رؤوس الجبالِ

ننقّر فى فضّة السحْبِ

حتى نقشّرها

عن صنوبرها

ثم نذرو القشورْ

على واجهات مساكننا الطاعناتِ

ذرّاً عن وجنتيها

طلاءُ المساحيقِ

زيتاً وجيرْ

ونذور القشورْ

فتكسو بلاط الحواري [illegible]

[illegible]

تطلُّ عليها

من النافذات الصبايا

تحلُّ وتعقد فيها الشعورْ

ويسترسل الحلمُ

لو تطلع الصحراء علينا

بنفطٍ غزيرْ

فلا نفرغ السفن الحاملات القروضَ

إلينا

ونشحنها بصنيع يدينا

ونسترجع اللحم والدمَ

من غربةٍ أبديَّه

ويسترسل الحلمُ
لو يلبس الأصفُر الخضرةَ السندسيَّه
ويكسو المقطَّمَ
غابٌ من الكستناءْ
ويدفق من مرفقيهِ
إذا ما توضَّأَ
شلاَّل عطرٍ
وشلاَّل ماءْ
فتغمر كلَّ نواصى المدينةِ
دندنةٌ للشذى والخريرْ

١٨

وأنىً نسيرْ

تحيطُ بنا جنّةٌ دائريّه

مصفّفة العشبِ

حول بيوتٍ من الشعرِ

يقصر عنها خيالُ القصورْ

نروح إليها

يطالعنا البهوُ

غاصّ الجوانبِ

بالتحف المرمريّه

تمجُّ نوافيرُها المحوريّه

رشيشَ البنفسجِ والبنزهيرْ

ويأخذنا الدرَجُ المستديرْ

إلى شرفاتٍ

تطلُّ على شجر البرتقالِ

إذا مانظرنا إليهِ

سعى نحونا

بكئوس العصيرْ

□□□

ويسترسل الحلمُ

لكنَّها الحافلاتُ

وضوضاؤها القاهريَّه

تفزِّعهُ

فيطيرْ

٢٠

ذهبتُ إلى النيلِ
أسمع منه حديثَ العصورْ
بصوتٍ قراحْ
وكنّا على موعدٍ في الصباحْ
ولكنّني لازدحام المرورْ
وصلتُ إليهِ
وعصفورةُ الشرقِ
تدفع منقارها
في إناء الهجيرْ

ومرَّتْ مواكبُ مصر القديمةِ
تحت الجسورْ
مواكبُ عرسٍ
مرصعةٌ بالعذارى
أتتْ من مراعى الخلود بطيبه
لتمنح منفَ تراث الرخاءِ
وإرثَ الخصوبه

٢٢

وتسفح سكُّرها فى العذوبه

فيشرب أوزيرُ حتى الثماله

ويخرج من حالة الإستحاله

لمكن إيزيسَ

تمسح عنه بقايا الرطوبه

وتلقطهُ

من غموض الأساطيرِ

تُسقط عنه فروض الجلاله

وتخلطه كالخميرةِ

فى لبنات السلاله

فيطرح فى القمم الناميات حوارسْ

تلملمها

ثم تحزمها للمدارسْ

لتكتب فوق سطوح المسلأتِ

ما سوف تقرأه للشموسِ

عيونُ النوارسْ

وبينا الضفافُ

تحدِّق فى النيلِ

مرَّتْ مساحاتُ ماءٍ معكَّرةٌ

بعفار الخيولْ

٢٤

وأطبقَ
من كل ناحيةٍ في الفضاء صهيلْ
وأحدقَ
بالأرض وقعُ السنابكِ
والروث الأجنبيّ
يبعثره في القرى والمدائنِ
زهوُ الذيولْ

فوارس تترى وراء فوارسْ
فهكسوس آسيا
وأجناد فارسْ
وجيش الفرنجةِ
من كل خارطةٍ فى الأطالسْ
وأبناء عثمانَ من تركيا
وشتَّى المماليكِ
كانوا سلاجقةً أو شراكسْ

٢٦

تجمَّع هذا العفارُ على النيلِ
حتى تغطَّى
ولكنه ذات يوم تمطَّى
فطوَّحهم كلَّهم عن رباهُ
وأجلاهمو
إذ تنهَّدَ
عن رئتيه زفيرٌ طويلْ

وراح العجوز يحدِّثنى
عن صروف الحوادثِ
جيلًا فجيلْ
إلى أن رنتْ
لعيون المغاربِ
شمسُ الأصيلْ
فغابت بها أمُّ كلثومَ
بين رموش النخيلْ

٢٨

دلفتُ لحيٍّ الحسينْ

وبعد صلاة العشاءْ

سرحتُ مع النورِ

فى الردهات العتيقه

بخان الخليلى

وكان دليلى

دخان النراجيلِ

ينسلُّ بين الرؤى والحقيقه

وكانت يمينىَ
جلسة وعظٍ
«يقول النبىُّ»
فتُهرعُ
من غمغمات الصلاة عليهِ
طيورٌ طليقه

وكانت يسارىَ

حلْقة ذكْرٍ

دراويشُ

صوتهمو ضارعٌ متأنِّى

يسيل على جنبات الدفوفِ

وشيئاً فشيئاً

يصلُّ صليلَ القنا والسيوفِ

يلمُّ البيارقَ

حول الصفوفِ

ويجذب كافَّة أهل الطريقه

وفوقىَ

كانت قبابٌ

على سقفها

للأهلَّة مرتفقٌ

قبل أن تتحرَّى استدارتها

تتَّكى برهةً

ثم ترقى

لبرج تبرُّجها فى الليالى

مكوكبةً

بالنجوم الصديقه

وخلفىَ

سار الجبرتى

ودفتره طىّ إبطٍ حريصٍ

ونظرة عينيه فاحصةٌ ودقيقه

وكل الوقائع شاخصةٌ نحوهُ

تكاد تشبُّ إليهِ

تراودهُ

وتسدُّ عليه طريقَه

ودونى

رأيت وجوه الشيوخْ

مغضَّنةً

تختبى فى غضون تقاطيعها

حكمةٌ متوهّجةٌ بالسليقه

سألتهمو عن زمان الشموخْ

فردُّوا بنبرة صوتٍ

مموَّهةٍ بالسعالِ

رقيقه

وأرهفتُ سمعى

فلم ألتقطْ

غير همس الشروخْ

وقد هزت المشربيَّاتِ

ريحٌ رفيقه

سرحتُ مع النورِ

فى الردهات التى تنحنى

فى خشوعٍ جليلْ

ورحتُ أراقب روح المدينه

تهبُّ عليَّ

مع المسك والمستكه

ومن همهمات النحاس الرصينه

وهم يطرقونه

فأكملتُ

فنجان قرفتىَ المستعيذة بالزنجبيلْ

من الهمِّ

حتى سرتْ فى دمى

حارَّةً ضاحكه

فأيقنتُ أنِّى على موعدٍ

والزمان الجميلْ

مضيتُ

إلى حيث كان البناةُ العظامْ

يشدُّون أحجارهم

فى انتظامْ

لرفع هرمْ

وكان هنالك

سيِّدُ درويشُ

يُنشِدُ فيهم بلادى

ومحمودُ مختارُ

ينحت نهضة مصرَ

وأحمد شوقى

يسوق القوافىَ فى كلِّ وادِ

وطلعتُ حربُ

يموسق نثريَّة الإقتصادِ

وطه حسينُ

ينادى:

كما الماء تعليمنا والهواءْ

ويرقى مشرَّفةٌ

كالفراشات فى طبقات الضياءْ

ويملأ محفوظٌ السكريَّه

بأبطال حاراتنا القاهريَّه

ويشعل حقِّى

قناديل أمِّ العواجزْ

وينشرح الصدرُ

حين يمرِّر فينا محمَّدُ رفعتْ

قراءته العبقريَّه

فنعبر كلَّ الحواجزْ

إلى حلُمٍ واقعيٍّ

يكلِّف أحداقنا

قمَّةَ الإنتباه

فتهتف أجفاننا الساهره

هنا القاهره

هنا القاهره

تواريخُ عزٍّ

وأزمانُ جاه

هنا القاهره

مدينتنا الزاهره

على راحتيها

بكل طمأنينة الحالمينْ

تسير العصافيرُ

تختال فى زيِّها القاهرى

تلقَّط حَبّاً لقاح القرنفل والياسمينْ

وترشف قطر الندى الطاهرِ

وتشدو بصوتٍ حميم الشفاه

ليومٍ بهيج الضحى باهرِ

عندما تصحو الجيزة

تصحو الجيزة

من نومتها الهانئةِ

على زند أبى الهولْ

تهرع للشطِّ الغربىِّ من النيلْ

تسأل حابى

أن يغسل عن عينيها

عشبَ الليلْ

فيسيل مواويلاً خضراءَ

بإثر مواويلْ

وتعود ترجِّلْ

دون الواجهة الشرقيَّةِ

للهرم الأكبرِ

شعراً يتثنَّى

كصهيل الخيلْ

وتضفِّرهُ

بأصابعَ من غبطه

شأن الفرعونيَّاتِ

ضفائرَ من حنطه

تحملها الريحُ

سحاباً منخفضاً

يتشكَّلْ

منقوشاتٍ هيروغليفيَّه

أو أيقوناتٍ قبطيَّه

أو تعشيقات محاريبٍ إسلاميَّه

يتأبَّط ضوء المشكاةِ

عليها الظلّْ

تنهمر الأشكالُ

فطائرَ ساخنةً

نتحلَّق حول المائدة المنحوتة فى سقَّاره

من حجر اللوتسِ

ورخام الفلّْ

نتبادل

أدبيَّات الصبح المصرىِّ

على الأكلْ

تبتسم زهور الفول لنا

تأسرنا بسمتها الحارَّه

«ما أحلى الجبنَ

إذا ما كان قديماً جداً»

غمغم أحد الكهنةِ

وهو يبسملْ

طارت

من تاج الوجه البحرىٍّ

سريّة نحلْ

حامت

حول حقول الوجه القبلىٍّ

وعادت

كى تضع أمام الشاعرِ

صحن عسلْ

غنّانا (بنتاؤورُ)

مع النعناعِ

شربنا الصوت الدافئَ

غنّانا

أغنية غزلْ...

إفتتح بآهٍ فى الأوّلْ

لا أحلى من إيزيسَ

ولا أجملْ

ثم تلاها

آهاً تتبع آها

من للأوزيريسيِّينَ

سواها

خدًاها

نجمان حقيقيًانِ

ونهداها

قمران من المخملْ

شفتاها

ثَمَّ هلالان عقيقيًانِ

وعيناها

شمسان تُطلأن على شرقينِ

وتنتصفان هجيرينِ

وآهٍ

يا إيزيسُ

بإحدى عينيكِ

هوى آمونُ

وفى الأخرى

لم يصمد رعْ

لكنَّ نجيل رموشك

دوماً مبتلْ

يا ذات التاريخ المترعْ

بالعشقِ

ويا أمَّ الماضى الحاضرِ

فى المستقبلْ

ثغرك بستان قُبَلْ

تسترسل فيه الجيزةُ

وأنا أسترسلْ

إسترسال الواحد فى الكلْ

قمر الحلميَّة

كان لبيتى فى الصبحِ

ملامح إبريق الشاىِ

وفى العصرِ

تقاطيع فناجين القهوه

كانت شرفتنا كلَّ مساءْ

تستقبل قمراً

من أقمار الحلميَّه

حتى تقرأ

فى عينيه العسل ـ طحينيَّه

أخبار العشَّاق المفضوحةَ

فى سريَّه

كان القمر يقصُّ علينا

ويقصُّ

نجوماً

خضراءَ وحمراءَ وذهبيَّه

فنروح خفافاً

تحت رذاذ المطر الكونيِّ المسفوحِ

عقيقاً شفَّافا

ويواقيتاً رائقةً

ونثار ثريّاتٍ ألماس ـ زجاجيّه

نجمع أجزاء المنشورات الضوئيّه

تحت مظلة أغنيّه

نرفو أعراف الديكةِ

فوق رؤوس السمك البلطيِّ

على أعناق زرافاتٍ

تنتعل قوائم سحليّه

ثم نشبُّ

على أطراف الليلِ

نحدِّقُ

كيف تمرُّ «النكتةُ»

فى هودجها المتهادى

من تحت الربع.. الموسكى.. باب الخلق ..

العتبة .. بين القصرين.. الفحّامين.. النحّاسين..

الصاغة.. فالدرب الأحمر.. فالغوريّه

ونتابعها
مبحرةً
من بوغاز أبى قيرَ
وموغلةً فى المتوسِّطِ
حتى تتساحلَ
والجزر الإغريقيَّه

ونعود إلى القمرِ

فنلقاهُ

على سور الشرفةِ

مازال يقصُّ علينا

ويقصُّ لنا

صورًا فوتوغرافيَّه

لسليم الأوَّل.. عمانويل.. تحتمس.. تيمور لنك..

أجا ممنونَ

أبى ذرٍّ .. بونابرته.. مينا نارمر.. هانيبال.. الإسكندر

رمسيس الثانى.. ومعاوية بن أبى سفيان بن أميَّه

وكذلك كنَّا
من شرفتنا البحريَّه
فى حىِّ الحلميَّه
نكتشف العالمَ
والتاريخَ
إلى آدمَ
ونواجه ما يجرى
فوق الكرة الأرضيَّه
بطريقتنا المصريَّه

حنين الفراشة للشرنقة

تحت إهابى

تتلاقى ناسٌ شتَّى

تتلاقح أجناسٌ

حتَّى

يحتضنَ المصريُّون القدماءُ

بأنسجتى العربا

تحت إهابى

أتراكٌ وسلاجقةٌ

أكرادٌ وأغارقةٌ

فرسٌ وأفارقةٌ

يجدون بأعراقى

نسبا

تحت إهابى

تجتمع الإنسانيَّةُ

أفرادًا وجماعاتٍ

بدواً

وحضاراتٍ

تومض فى عينى إيماضاً

وتخبُّ بأشعارى

خببا

من رحم لدلتا

جاءت جدَّتىَ

ومن صلب جنوب الوادى

أقبل جدِّى

والتقيا فى القاهرةِ

كذلك أصبحت القاهرةُ

بأمشاجى

أمّاً وأبا

أصبحت القاهرةُ
دماً فى شريانى
أضحتْ فى بنيانى
عصبا

وعلى كفَّيْها
هاتين الباسطتين أمامى
طرقات الأرضِ
حصيرًا مجدولاً
من أنغام حجازٍ
وتقاسيم صبا

طفل العمرِ

وحيدًا

مشغوف اللبِّ

ومخطوف القلبِ

بإيقاع اللحن السحريِّ

حبا

ومضى يحبو

بين الأسبلةِ..

السابلةِ..

الأسواقِ..

الأسوارِ..

البوّاباتِ..

العتباتِ..

المنعطفاتِ المرفوّةِ فى المنعطفاتِ

إلى أن أدمى

من طول الحبو الركبا

٧٢

من حدَّقَ

فى ركبته اليمنى

عاينَ

خارطةَ القاهرة مصغَّرةً

من دقَّقَ

فى ركبته اليسرى

عدد خطى أهليها حسبا

لكنْ من طول الحبوِ
شكا الطفلُ
ومن فرط الصبوِ
إلى الخطوِ
بكى
وعلى السجَّادِ
كنقش السجَّاد كبا

وبذات صباحٍ
والشمسُ
تعالج تمرير أشعتها
من شيش الشبّاكِ
اعتدل الطفل الشكّاءُ الباكى
والعود انتصبا

فرأى فى وقفته
من فوق
لدهشته النمل صغيرًا جدًا
فاستند إلى حرف «الكنبة»
واستنتج أن لهذا
صنعوا «الكنبا»

ثبَّتَ
تحت القدمين الأرض الغرويَّةَ
لكنْ ما لبثتْ
أن دارت دورتها الكرويَّةَ
فانقلبا

حاول ثانيةً.. ثالثةً

أمسك بالكفَّينِ

وبالإبطينِ

شعاعىْ شمسٍ مطَّاطينِ

تأرجحَ

قاوم ألا ينجحَ

حتى قامَ

وسارَ

وأوشك أن يثبا

شبَّ

وليدُ الأمسِ

وأمسى ولداً

يذهب للمدرسةِ

فيأخذ معه الطرقاتِ

من المارَّةِ

والباعةِ

والعرباتِ

إذا ماذهبا

وإذا ماعادَ

يعيد الطرقاتِ

إلى المارَّةِ

والباعةِ

والعرباتِ

ويقذف بحقيبته المكتظَّةِ

بأناشيدَ.. وبلدانٍ

وزمانٍ

مفروطٍ حقبا

يقذف بحقيبتهِ

للريح المتوجِّهةِ

إلى شرفته البحريَّةِ

لا يخشى

من فقد المسطرةِ أو الفرجارِ

فإنَّ الريحَ صديقتُهُ

تحمل عنه الأشياءَ

شكا

أو لم يشْكُ النصبا

تحمل عنه الريحُ
عبيرَ الأزهارِ
إذا حمل الأزهارَ
وتحمل عنه العرقَ
إذ ما انتثر على جبهتهِ
حببا

تحمل عنه الورق الملفوفَ
على قطع الحلوى
إن فضَّ الحلوى
تحمل قشْرَ القصبِ
إذا مصَّ القصبا

تحمل عنه الريحُ

نشيد بلادى

لك حبى وفؤادى

حين يغنيه «بطابور الصبحِ»

وتحيا مصرُ

إذا ما حيًّا العلمَ

وتحمل «وقت الفسحةِ»

عنه الصخبا

وإذا ما أقبل بعد الظهرِ
وراح ينادى رفقتَهُ
تحمل عنه الريحُ
صفيرَ الشفتين لهم
كى يبتدئوا
معه اللعبا

لعباً
يتواصلُ
حتى يستوفىَ
حقَّ صباه عليهِ
سروراً
أو تعبا

كبر الولدُ
وصار فتىً
كالوتر المتوتِّرِ
مشغول البالِ
بأحلام اليقظةِ
مرتَقِباً للمستقبلِ
مرتَقَبا

هل ثمَّة آلة تصويرٍ
تتبعه أين يروحُ
هو البطلُ المطروحُ
على شاشات الأيَّام القادمةِ
هو الأيَّام القادمةُ
هو القادمُ
يحمل أيَّاماً
تقلب عالمنا النمطيَّ
على رأسٍ عقبا

هل يصلحُ
أن تصبحَ
أوراقُ الشجر المصفوفِ
على جانبى الشارعِ
زرقاءَ
مشرَّبةً بوميض البرقِ
وقد دلف إلى حارتنا المسدودةِ
آناء الليلِ
ولم ينجحْ
فى أن ينفذ منها قطُّ
ولم يفلحْ
فى أن ينسحبا

ما المانع

أن تضحى تلك القطعه

من قطع سماء الشارع

فيما بين الجبل وبين القلعه

خضراءَ

كما البرسيم اليانع

تعلكه الحملانُ

حبسناها

فوق سطوح منازلنا

كى نصنع

من ناصع فروتها السحبا

ما أجمل أن نذرع

درب التبَّانةِ

مشيًا

كالطيران الناعم للحدأ

وأن نزرع

بعض النجماتِ

على ناصية الحارةِ

ونعلِّقَ

فى أعمدة النور الشهبا

كانت حارتنا

تلك الموصوفةُ

فى القصص كثيرًا

تُملى

وهى تدخِّن نرجيلتها البوصَ

على الكتَّاب الكتبا

كانت حارتنا

نصف رغيفٍ

محشوًا فولا

مقفولا

فوق الشمس الآفلة فلولا

من شفق الأفقِ

إلى «المستوقدِ»

حيث تثابرُ

تحت قدور «التدميسِ»

تحضِّر للمصريِّينَ

مع الصبح الباكرِ

إفطاراً عجبا

لا يعرف غير المصريِّينَ

إذنْ

أين تنام الشمسُ

ولا يعرف غير المصريِّينَ

أجلْ

كيف تمضِّى الشمسُ الليلَ

ولا يعرفُ

غير المصريِّينَ السببا

كان الساكن

فى وجه الساكن

قوسينِ

يضمان عبارة حبٍّ

نُقشتْ بالزيت الحارِّ

على صحن جدارٍ

مطلىٍّ بالجير الحىِّ

فصارت أدبا

كان العابر حارتنا

يقرؤنا

ويعيد قراءتنا

حتى يحفظنا فى الذاكرةِ

نصوصاً

يذكر فيها الوطنَ

إذا ما اغتربا

كان بلاط الحارةِ

مثل مرايا الحسناواتِ

سقتها الدهشة بالشهقاتِ

وتروى الفتنة عنها للأعينِ

ما احتجبا

صار فتانا شابًّا
والفتيات غزالاتٍ
شقراوات السمرة صرنَ
فصار بهنَّ جميعاً صبًّا
صعب الأمر عليه فصبَّ
مواجده شعرًا
وانصبَّ
على الكلماتِ
يذلِّل منها ما صعبا

فاشتعلتْ
فى يمناه الكلماتُ
وصارت راحته مجمرةً
وأصابعهُ
أضحتْ لهبا

فطوى يَدهُ
فى جانب سترته الأيسرِ
حتى يخمد ألسنة النيرانِ
فأحرقت القلبَ
وحين احتاج من الشريانِ
دماً ما للإطفاءِ
أبى

كانت حارتنا شِعْبًا
فات شعاب الجنَّةِ
وافترش الأرضَ
وكنَّا شَعباً
من بين شعوب الجنَّةِ
سأل الربَّ
مكانا فوق الأرضِ
فلبَّى

كانت حاءُ الحارةِ
حاءَ الحبِّ
وراء الحارةِ
كانت صدرًا رحبا
أودعه الواهبُ
ما وهبا

ورصيفا الحارةِ
كانا يمتدانِ
ذراعىْ ترحيبٍ
تبتدران القادمَ
بتحياتٍ صادقة الودِّ
فتملؤه طربا

كان البيتُ

بكتف البيتِ

بكتف البيتِ

عناقيد عريشة عنبٍ

ضافيةٍ

وأنا أكثر ما أعشقهُ

فى الفاكهة العنبا

والأطفال بحارتنا

كانوا أطفال الكلِّ

فراشاتٍ

تحسو من أىِّ وعاءٍ زهرىٍّ

ما تطلبهُ

هل يرفضُ

غصنٌ مكتظٌّ بعصائرهِ

لفراشٍ طلبا

كان الجارُ

غطاء الجارِ

وستْر الجارِ

وسرًّ الجارِ

وصندوق الزمن المدَّخرِ

أماناً

وحناناً

وجنيهاتٍ

عند الحاجة ذهبا

كان صباح الحارةِ

مثل الفلِّ

وكان مساء الحارةِ

كالعسلِ

إذا انغمس بهِ

زبْد السهرِ

على السحَر انسكبا

كان الزمن بسيطاً

مرتاح القسمات وديعاً

مبسوط النفسِ

خليٌّ البال بديعاً

كان الزمن سويًا جدًا

لا يشكو الأزمات النفسيَّة أبدًا

أو يبدو يومًا مكتئبا

لكن

شاب فتانا المفتونُ

وشابت حارتنا معهُ

والزمنُ

مع الزمن اضطربا

أصبح

شجر الحلم الأخضرِ

بين جفون الحارةِ

خشبا

أصبح حطبا

ورمادًا صار الحطبُ

فصارت عين الحارةِ

من رمدٍ

تشكو العطبا

صار الأطفال شيوخاً

امتلأتْ

صفحات جباههم الملساءِ

تجاعيدَ

كما امتلأت واجهة الجدرانِ

شروخاً

إنطفأت آيات براءتهم

وارتكب العمر بهم

ما ارتكبا

صار الزمنُ غريباً

والجيرانُ

نوافذَ مغلقةَ الأضلافِ

أمام نوافذ مغلقةٍ

صاروا غرباءَ

يردُّون الأبواب على عجلٍ

فى وجه الغربا

وبنات الجيران العذراوات المرحِ
أرامل مُتَّشحاتٍ بالأسودِ
صرنَ
وصارت بسمتهنَّ
قناعاً ملتاعاً
منقوشًا كُرَبا

شاخت أحلام الناسِ
وحطَّت أطيار الأمل المجهدِ
فوق كواهلهم
حتى أضحت قتبا

صارت حارتنا

حدبا

سقطت أوراق العنبِ

على الأرضِ

فداستها الأقدام الواهنة البصرِ

وصارت كرمتنا جدبا

والنور المنثورُ

نجومًا وكواكبَ

فوق الأعمدة خبا

آهٍ

لو عاد الزمن الأوَّلُ

لو عاد من الطلل المنزلُ

لو عاد الشيخ الطاعن شابًّا

وشباب الشابِّ صبا

لو عاد الطفل من العدْوِ

إلى الخطوِ

إلى الحبوِ

تمدُّ له الجدَّة كفّيها

وتقول «حبا»

ويقول له الجدُّ

حبيبى

«خطِّ العتبا».

بلد المحبوب

لما كنت رضيعًا
كان النيل حليبى
حدَّثنى
ضرع الصنبور طويلاً عنهُ
تركتُ قماطى
وتتبَّعتُ شعيرات اللبن إليهِ
سراديبًا
تأخذنى لسراديبِ

وأنابيبًا

تُسْلمنى لأنابيبِ

حتى ألفيت بوجهى

ياللروعةِ

صحن زبيبِ

ناديت جميع الرضَّعِ

جاءوا كالنملِ

تحلَّقنا حول ضفاف الصحن الأعجوبى

من شط جنوب المتوسِّطِ

حتى الشلاَّل النوبى

واستغرقنا الوقتُ

تسيِّجنا

«كيزان» الذرة المشويةِ

و«قراطيس» الترمسِ

ومزاح الغالبِ

فى ورق اللعب مع المغلوبِ

وكبرتُ
فصار النيل حبيبى
والشاطئ صارَ
مكان الوصلِ
وصارت شمس العصرِ
سفارة موعدنا المضروبِ

صار الرضَّع عشاقًا

صرنا أبناءً آباءً

نأكلُ

من جسد النيل جميعًا

عيش المصريِّين المخبوزَ

رغيفًا شمسيًّا

يطلع من سنبلة الفجرِ

ويبقى معنا

دون غروبِ

نشربُ

من دمه الخمريِّ المصبوبِ

فى أعواد القصبِ

عناقيد التوتِ

فصوص الرمَّانِ

قرون الخرُّوبِ

نقرأ فى راحته المبسوطة دومًا

خطَّ الوعدِ

وخطَّ السعدِ

وخطَّ الحاصل والمكتوبِ

ونغنِّى فى حنجرةٍ واحدةٍ
بالصوت المسكوبِ
بين نخيل الشطينِ
على بلد المحبوبِ
فيرد النيل علينا
آهٍ
آهِ على بلد المحبوبِ

مارش رومانسی

يا مصرنا

ياقبلة السما
على خدِّ البسيطه
ياشمعةً خضرا
أضاءت فى الخريطه

يامصرنا

لوكنتُ نهرًا

ما اشتهيتُ أن أكونَ

غير نيلكْ

لو كنتُ زهرًا

لاصطففتُ كالجنودِ

شاهرًا دمى

أريجًا فى سبيلكْ

لو كنت مُهْرًا

لانسكبتُ يا بلادنا

صهيلاً

فوق مرتوى نجيلكْ

لو كنتُ بدرًا

لانقسمُت كلَّ ليلةٍ

أهلَّةً

على مفارق الجريدِ

فى ذرى نخيلكْ

لو كنت أنجمًا

لفتُّ أزرق السما

وشعتُ مثل لوز القطنِ

ضوءًا عبقريًا

فى حقولكْ

لو كنت شمسًا

يا بلادنا

أنا لو كنت شمسًا

ما برحتُ الدهرَ

أرعى خطَّ طولكْ

تاريخ من العشق

لكأنِّى

إذ أستلُّكِ من عمرى

أستلُّ القمر من الليلِ

وأستلُّ النشوةَ

من قدح الخمرِ

وكأنِّى
إذ أستلُّكِ من عمرى
أستلُّ السحْرَ
من السحرةِ
والمسحورينَ
ومن صفحات كتاب السحْرِ

وكأنِّى

إذ أستلُّك من عمرى

أنأى عن وجدانى

أشرع فى فقدانى

أزمع فى هجرى

أتنكَّر لمحيَّاىَ

وأعطى لمراياى الشاخصةِ

إلى وجهى

ظهرى

وأولِّى مبتعداً

عن وشم ذراعى

وأخلِّى ظلِّى

فى ظلِّ الشجرِ

وأركض ركضًا

يخرجنى

عن إيقاعى الشعرى

ألهث .. ألهثُ
فأمزِّق أضلاعى
وأسير أمام الناسِ
تحدِّق أعينهم
فى ياقوتة صدرى

وتبينين لهم
آهِ
أنا أخفيتُكِ فى قلبى
أسدلْتُ عليكِ شغافى
وسترتكِ عنهم
حتى سقط أخيراً سترْى

عرفوكِ

وقالوا أنتِ إذنْ

واكتشفوا أمركِ

واكتشفوا أمرى

عرفوا

أن النار المحبوسة فى رئتى

والمهموسة من شفتى

لا تنتسب لجمرى

عرفوا

أن العطر المتسرِّبَ

بين شعيرات ليباليكىَ الليليَّةِ

ليس بعطرى

عرفوا

أن الليْلكَ

لم يدرجْ يومًا

فى إحصاء نباتاتى

بين قوائم زهرى

عرفوا

أنَّكِ أنتِ أنايَ

ولستُ أنا

وأنا لم أكُ أدرى

عرفوا

أنَّكِ غائرةٌ فى روحى

حتَّى هذا القدْرِ

لم أكُ أدرى

أنَّكِ منذ زمان التكوينِ

ثقبتِ جميع الآبارِ

لأشربَ من عينيكِ

وأقسمَ

أنَّهما وحدهما بئرى

لم أكُ أدرى

أنَّكِ صحَّرتِ جميع الوديانِ

بأقطارى

ومنعتِ الأمطارَ

عن الإمطارِ

وجفَّفتِ منابع نهرى

لم أكُ أدرى

أنَّكِ بالعطشِ محاصرتى

أنَّك فى خاصرتى

زنَّار النارِ

يواصل فى هصرى صهرى

لم أكُ أدرى

أنك معصرتى

أنك عاصرتى

وأنا المعصورُ

أعانى من عينيكِ

ومن أزمة عصرى

لحسينِ بن عليٍّ

أن يفخر بشهادتهِ

لكنِّى

لا أجد سبيلاً

للموت الفخرى

فالزمن بعيد الأيَّامِ

وإن كان زياد بن أبيهِ

تطالعه النسوةُ

مازلن دمًا أسودَ

فى الطمث الشهرى

وأنا باكٍ عفَّتىَ

وشاكٍ عنَّتىَ

وشاكٌ فى ذريَّتىَ

ومتِّهمٌ حتَّى الحسن البصرى

فمعاوية بن أبى سفيانَ

أبى

ويزيد بن معاوية بن أبى سفيان أنا

والدهر جميعًا دهرى

والدهريُّون فلاسفتى فى الحكْمِ

وعمرو بن العاص حكيمى

وأبو موسى حكمى

ولقد أوصدتُ الأبواب جميعاً

فى وجه أبى ذرٍّ

وخرجتُ

إلى صحراء الزمنِ

ومازلتُ

أهرول بين الشام وبين اليمنِ

ملولاً

يتأبَّطنى أو أتأبَّط شرِّى

أَقتلُ أو أُقتلُ
سيَّانَ
فإنِّى لم أحْظَ
بأختٍ كالخنساءِ
لترثينى بين نسائى
ترثى حظِّى الصخرى

فأنا

أحد المكتوب عليهم

أن يقفوا بالأعرافِ

حيارى

لا يغشون الفردوسَ

أو النارَ

بيوم الحشرِ

لم أكُ أدرى

حين عشقتُكِ

أنَّ العشق مغامرةٌ كبرى

نكسب فيها الدنيا والآخرة معاً

أو لا نكسب فيها غير الصفرِ

لم أكُ أدرى

حين عشقتُكِ

أنىَّ راهنتُ على تاريخى

وكتبتُ على شاهد قبرى

قنصوة الغورىُّ أنا

قاومتُ سليم الأوَّلَ

لكن الخائن خاير بك

مكَّنه تمكيناً من دحرى

وتعلَّق فى باب زويلةَ

قلبى الطومانىُّ

ثلاثة أيامٍ بلياليهم

والنيل كعادته يجرى

وابن إياسٍ
يلفت نظر المقريزىً
إلى دربٍ أحمرَ
يمرقُ
بين مقام السيِّدة نفيسةَ
وكنيسة مارى جرجسِ
حتى يصل إلى باب النصرِ

كان القدّاسُ القبطىُّ
بمذبح معبد آمونَ
يعانقُ
فى أذنىَّ المسلمتينِ
أذان الظهرِ

راح الفرعون الكامنُ
فى أمشاجى
يقرأ مادوَّنه الكاهنُ
طىّ جفونى وأنا ساجى
من صلوات الشكرِ

قرأ الكاهنُ

من برديَّة آنى

نصٌ شعيرة فتح فمى

ففتحتُ فمى

وتدفق من فوق لسانى

آى الذكرِ

قلت لإخناتونَ
لعاصمتك
أن تتوسَّط منف وطيبةَ
ولإنشادك
أن يسلك إثرى

امتلأت حولى الساحةُ
بدراويشَ سكارى
خمرتهم لم أجرعها من قبلُ
وسكرهمو لا يشبه سُكْرى

حينئذٍ

دوَّت فى أروقة الأزهر

أصداء مدافع سارى عسكر

نابليونَ

وشامبليونُ

على ضوء البارودِ

يطالع فى حجر رشيدٍ

رقمى السرِّى

كان كتاب الموتى
ومتون الأهرامِ
وريشة ماعت
وشكاوى فلاح الفيُّومِ
وسرُّ تناولىَ الكنسىٍّ
وسبحان الله القيُّومِ
تراثى الفكرى

من يسلب منِّى إرثى
أخنقه بيدىَّ العاريتينِ
وإن جاء إلىَّ
بمقلاعٍ يتراوحُ
بين العصر الحجرىِّ
وبين العصر الذرِّى

ويهبُّ البولاقيُّون بقلبى كالإعصارِ
ولا أهدأ
حتى يغرز فى قلب كليبر
خنجرىَ سليمانُ الحلبىُّ
ويأخذ ثأرى

كان صلاح الدين الأيوبى

وليَّكِ يافاتنتى

زوَّجنى منكِ

وقالَ:

لتغْدُ القلعةُ حجرةَ نومكما

والجبل وراءكما

وأمامكما كلُّ ليالى القدْرِ

لكنَّ الباشا الآتى من قوَلةَ
أعجبه نحرُكِ
فاستعدى كلَّ القوليِّينَ
على نحرى

فقفزتُ وراء المملوكِ الهاربِ
وتركتُك للأغواتِ
وشعرُكِ
تدهنه بالصبواتِ
جوارى القصرِ

والوالى الأرناؤوطىُّ الشاربِ
يحسو قهوته التركيَّةَ
ويشدُّ دخانَ النرجيلةِ
ويثبِّت عينيهِ
على منطقة الخصرِ

وأراكِ
من الشبَّاكِ
تغنين: أمانَ .. أمانَ
ويدعوكِ الحامولىُّ بألمظَ
يامن كنتِ زماناً
شجرة دُرِّى

كليوبترا
كنتِ
تُضَحِّين بأنطونيو من أجلى
تاركةً فى عرض البحر سفائنهُ
عائدةً بالشوق إلى ثغرى

كى تنتحرى
تكفيراً
عن عشقكِ
لقياصر روما
بالسمِّ الكليوبترى

حتشبسوتَ

رأيتُكِ

تبتعثين إلى بلدان البونتِ

بمن يُحضر لى

تبغى وسعوطى

ويخزِّن كيماويّات حنوطى

فى الدير البحرى

إيزيسَ

عرفتُكِ

ترفين المعصم فى الساعدِ

والساعد فى المرفقِ

والمرفق فى العضدِ

وبعدُ

تضمِّين العضدَ مع الكتفِ

إلى الترقوة إلى الترقوة الأخرى

لتشدِّى أزرى

رحتِ إلى بيبلوسَ

وعدتِ بأوزيريسَ

قصيدة شعرٍ كاملةً

كانت فوق شجيرات الأرزِ

مقاطعَ من نثرِ

□ □ □

كيف سبوكِ

ورحت تغنين أمانَ لهم

وأنا بين جنود عرابى

أدفع عن بابى

ريحًا ترغب فى كسر البيتِ

وكسرى

دفعتنى الريحُ
مع البارودىِّ إلى سيلانَ
وعدتُ من المنفى فى سيشل
مع صحبة سعدٍ
وبلادى
ينشدها سيِّدُ درويش
فيردِّدها من شطِّ المتوسطِ
حتى شلّال النوبةِ
كلُّ القطرِ

وأراكِ

وعبدالناصر يخطب فى يوليو

والعِرْق المتفرِّعُ

فى جبهتكِ السمراءِ

على شكل الدلتا

يتأجَّج بالنبض الثورى

وأراكِ
منكَّسة الهامةِ
وحزيرانُ
حزيناً يبكى
فى عينيكِ السوداوينِ
من الحسرةِ والقهرِ

لكنَّ السادس من أكتوبر
يتَّفق مع العاشر من رمضانَ
على عيدٍ
ميلادىٍّ التقويمِ
وهجرى

عيدٍ

لخُصّ أمجادى

عيدٍ

يأتى فى أعيادى

بعد العيدين: الأضحى

والفطرِ

وأراكِ

عروس الحلم المستلقية ببالى

والساكنة بقلبى

والمغلِقة على ياقوتتهِ

صندوق الصدرِ

آهِ
أنا لم أكُ أدرى
أنَّكِ غائرةٌ
فى تاريخى
حتى هذا القدرِ

لم أكُ أدرى
أنِّى حتى أكتب عنكِ
سأبرى
قلبى قلماً
وسأُجرى
فوق الأوراقِ
دماً حبرى

لم أكُ أدرى

أن لنيلكِ

هذا الآتى من نبع الكوثرِ

فى الفردوسِ

وظيفة حبلى السُّرِّى

لم أكُ أدرى

أنَّ النهر الخالدَ

يربطنى طول الدهرِ

برحم الأرض الكمُّثرى

لم يكُ يدرى

جذعى الطالع

من أسفلت الشارع

أنَّكِ جذرى

يمشى فى الشمسِ

معى كالظلِّ

ويسرى فى الليلِ

متى أسرى

قد أصبحتُ أسيراً

يا آسرتى

حين تصوَّرتُ

بأنكِ أصبحتِ أخيراً

فى قبضة أسرى

لكأنِّى

إذ أستلُّكِ يا قاهرتى

من عمرى

أستلُّ العمر من الزمنِ

وأفنى يا وطنى

يا قدرى المولود معى

يا قدر المصرى

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/٣٥٣٠

I.S.B.N 977-01-4731-1